

التبيان في تفسير القرآن

(271) البقرة (1)، وذكرنا اختلاف المفسرين فيه، فلافائدة في اعادته. وقوله " كتاب أنزلناه إليك " رفع على انه خبر الابتداء، ومعناه هذا كتاب يعني القرآن أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم " ليخرج الناس من الظلمات إلى النور " أي ليخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الايمان والهداية. والظلمة في الاصل سواد الجو المانع من الرؤية تقول أظلم إظلاما وظلاما، وظلمة. الظلمة اذهب الضياء بما يستره، والنور بياض شعاعي تصح معه الرؤية، ويمنع معه الظلام ومنه النار لما فيها من النور. والنور والضياء واحد. وقال قتادة " من الظلمات إلى النور " من الضلالة إلى الهدى " بإذن ربهم " اي باطلاق الله ذلك، وأمره به نبيه صلى الله عليه وسلم " إلى صراط العزيز الحميد " أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدي إلى معرفة الله " العزيز " يعني القادر على الاشياء الممتنع بقدرته من أن يضام، المحمود في أفعاله التي أنعم بها على عباده، الذي له التصرف في جميع ما في السماوات والارض، على وجه ليس لاحد الاعتراض عليه. ثم اخبر تعالى أن الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحدانيته. والاقرار بنبيه صلى الله عليه وسلم " من عذاب شديد " وهو ما تتضاعف آلامه، والشدة تجمع يصعب معه التفكك، شدة يشده شدا وشدة. وفي الآية دلالة على ان الله يريد الايمان من جميع المكلفين، لانه ذكر أنه أنزل كتابه ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الايمان، لان اللام لام الغرض، ولا يجوز أن يكون لام العاقبة، لانها لو كانت كذلك، لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه. _____ (1) في 1: 47 -